

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ مِنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيَّهُ وَخَلِيلَهُ، وَأَمِينَهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَمِبْلَغِ النَّاسِ شَرْعَهُ، مَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ؛ فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أَمَّا بَعْدُ:

فإن من الواجبات الجسيمة التي يجب على العبد رعايتها، والأمانات العظيمة التي يلزم الاهتمام بها ورعايتها:

العناية بالأبناء تربيةً وتاديباً ونصحاءً وتوجيهاً، فإنها أمانة عظيمة ومسؤولية جسيمة وواجب كبير، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَتَحُونُوا إِلَى أَمْثَلِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقْلُمُونَ ﴿٧﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ مَوَالِيَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَئِنَّ وَالَّ اللَّهِ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨]؛ والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى وهب الآباء هؤلاء الأبناء امتحاناً وابتلاءً، واتمن الأب على أبنائه واتمن الولد على أولاده وجعل عليه لأولاده حقوقاً، فإذا قام بها وأداها كما أمر فإن له عند الله أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، وإذا فرط عرض نفسه للعقوبة بحسب تفريطه.

ولهذا يقول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦]؛ والآية أصل عظيم في تأديب الأولاد وتربيتهم وجوب ذلك وتحتمه على الآباء. وفي الصحيحين^(١)

من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ رَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْحَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». وفي رواية «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ رَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٢)؛ ومعنى مسئول: أي أن العبد إذا وقف بين يدي الله جل في علاه سألته عن ذلك، وقد قال بعض العلماء: إن الله جل وعلا يوم القيامة يسأل

(١) أخرجه البخاري (رقم/٨٩٣) واللفظ له؛ ومسلم (رقم/١٨٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٠٠).

الوالد عن ولده قبل أن يسأل الولد عن والده^(٣)، فإنه سبحانه كما أوصى الأبناء بالآباء براءً وإحساناً فقد أوصى الآباء بالأبناء تربيةً وتاديباً؛ فإنه جل في علاه كما أنه قال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴿٨١﴾ [التكوير: ٨١]؛ فإنه قال جل في علاه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي لِلرَّجُلِ وَالنِّسَاءِ﴾ [النساء: ١١] وقال ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦].

نعم؛ إنها مسئولية جسيمة وأمانة عظيمة؛ فالواجب على كل والد أن يتقي الله في أولاده وأن يعمل على تاديبهم وتربيتهم وتشنتهم على عقائد الدين وأعمال الإسلام وأدابه العظيمة، وأن يعمل على تشنتهم النشأة الصالحة على أساس من تقوى الله جل وعلا والقيام بحقوقه جل في علاه.

♦ وتربية الأبناء تقوم على ركائز عظيمة وأسس مهمة لا بد من العناية بها؛ ليتحقق للعبد هذا المقصود الجليل والمطلب العظيم النبيل.

*** ومن أهم هذه الركائز: الدعاء لهم من قبل مجيئهم ومن بعده؛** من قبل مجيئهم بالهبة الصالحة، ومن بعده بالهداية والصلاح، ثم إذا شبوا على الهداية والصلاح يدعى لهم بالاستقامة والثبات. ومن دعوات النبيين في هذا الباب دعاء خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات: ١٠٠]، ومن دعائه: ﴿وَأَجْتَنِبِي وَيَتَى أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ومن دعائه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ومن دعوات زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ومن دعاء عباد الرحمن كما في أواخر سورة الفرقان: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وليُعلم أن دعوة الوالد لولده مستجابة لا ترد فقد قال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد، ودعوة المسافر»^(٤) وليُحذر أشد الحذر في هذا المقام أن يتعجل الوالد بدعوة ولا سيما في حال غضب على ولده بالشر، ثم تستجاب دعوته تلك فيندم على ذلك ندامة شديدة، والله يقول: ﴿وَلْيَعِظْ الْإِنْسَانَ بِالنَّسْرِ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

*** وإن من الركائز العظيمة في تربية الأبناء: العدل بينهم والبعد عن الجور والحيف والظلم؛** فإن الأب إذا لم يعدل بين أبنائه أوجد بينهم العداوة والتحاسد والتباغض، وإذا عدل بينهم كان

(٣) نقله ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «تحفة المودود» (ص ٢٢٩) عن بعض أهل العلم ولم يسهم.

(٤) رواه أحمد (١٠١٩٦) وأبو داود (١٥٣٦)؛ وأخرجه الترمذي (١٩٠٥)؛ وابن ماجه (٣٨٦٢) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٢).

عدله من أعظم أسباب توادهم ومحبتهم ومن أعظم أسباب برهم أجمعين له، وفي الصحيحين^(٥) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما نحله والده نحلة وطلبت أمه أن يُشهد على ذلك رسول الله ﷺ، فلما أتى رسول الله ﷺ قال له عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ: «أَكَلْ وَلَدِكَ نَحْلَتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: «لَا»، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»^(٦)، وفي رواية «لَا أَشْهَدُ عَلَى جُورٍ»^(٧)، وفي رواية في «صحيح مسلم»^(٨) أن النبي ﷺ قال له: «أَيَسْرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟» قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: «فَلَا إِدَاءَ»، تحذيراً منه صلوات الله وسلامه عليه من عدم العدل بين الأبناء لما يورثه من عقوقٍ وعدم برٍ وإحسانٍ وتقاطعٍ وتهاجرٍ بين الإخوان.

*** ومن ركائز تربية الأبناء: الرفق بهم** ومعاملتهم بالرحمة واللطف والإحسان، والبعد عن الغلظة والشدة والجفاء؛ فإن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه ولا نُزِعَ من شيء إلا شانه، وتبدأ هذه الرحمة وهذا التلطف وهذا الرفق مع الأولاد منذ صغرهم ونعومة أظفارهم، وتمضي معهم دائماً مستمرة رفقاً وحنواً وعطفاً من الآباء على أبنائهم، وقد جاء في الصحيحين^(٩) من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قَبِلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ جَالِسٌ عِنْدَهُ فَقَالَ: «إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا»، فَظَنَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يَرْحَمْ»، وفي الصحيحين^(١٠) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «تَقَبَّلُونَ الصَّيَّانَ؟» فَمَا تَقَبَّلْتُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ أَمَلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»، فإن هذه الرحمة يا معاشر المؤمنين والرفق بالأبناء سببٌ لقرب الأبناء من آبائهم ومحبتهم لهم؛ فإذا وُجد هذا القرب وُجدت هذه المحبة تمكن الأب من التوجيه والنصح والبيان مع تقبل تام من الأبناء واهتمام بتوجيهات الآباء.

*** ومن الركائز العظيمة في تاديب الأبناء: أن يحرص الأب دائماً على التوجيه والنصح والوصية بمعالي الأمور ورفيعها؛** وصية بالعقائد الدينية العظيمة وفرائض الإسلام وواجباته المتينة، والنهي عن الحرام والتحذير من الآثام، وإن من بليغ وعظيم

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٨٦)؛ ومسلم (١٦٢٣)، وفي آخره قال ﷺ: «أفارجعه».

(٦) هذه الزيادة في لفظ آخر للحديث أخرجه البخاري (٢٥٨٧).

(٧) أخرجه البخاري (٢٦٥٠)؛ ومسلم (١٦٢٣).

(٨) (١٦٢٣).

(٩) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)؛ ومسلم (٢٣١٨).

(١٠) أخرجه البخاري (٥٩٩٨)؛ ومسلم (٣٢١٧).

ركائز تربية الأبناء



إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن العبد

دار المحجة

شارك في الدعوة إلى الله بشر هذه المطوية لتكون لك حصة جارية

ولهذا يلزم الآباء متابعة أبنائهم في هذا النوع من الأصحاب لأن له تأثيراً بالغاً وخطورة عظيمة على العقول والأديان والأخلاق والآداب، فكم تاه من الشباب والشابات بسبب هذه الوسائل في أمور عظيمة وبلايا جسيمة لا يعلم مداها إلا الله تبارك وتعالى .

*** وان من الركائز العظيمة في تاديب الأبناء وتربيتهم: أن يكون الوالد قدوة لأبنائه،** لا أن يأمرهم بالخير فلا يأتيه، ولا أن ينهاهم عن الشر فيأتيه؛ فيكون قدوة سيئة لأولاده، وتكون دعوته وتأديبه لهم في تناقض عظيم وتباين عجيب، فلسان حاله في واد وفعاله في واد آخر؛ فينشأ الأبناء تحت مثل هؤلاء الآباء نشأة متناقضة مضطربة فيكون تأثيرهم على أبنائهم تأثيراً وخبياً؛ ولهذا يجب على الوالد وهو يؤدّب أبنائه ويوجه أولاده أن يتذكر دوماً وأبداً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسْوُنَ الْكِتَابَ** ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَّا مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ** ﴾ [هود: ٨٨] .

♦ ومع عناية الوالد بهذه الأمور العظيمة في تأديبه لأبنائه وتوجيهه لأولاده فعليه ألا يعلق قلبه بهذه الأسباب وأن يفوض أمره إلى الله متوكلاً عليه معتمداً عليه راجياً منه وحده جل في علاه أن يصلح له أولاده وأن يحفظهم بما يحفظ به عباده الصالحين .

♦ ولنعلم في هذا المقام أن الوالد إذا وُفق في هذا الباب - باب تربية الأبناء وتوجيههم - وصبر على ذلك ومن الله عليه بصلاح أبنائه فإنه يترتب على هذا الصلاح وعلى هذه التربية والتأديب من الآثار الحميدة والعيون المباركة التي يجنيها الوالد في دنياه وفي قبره ويوم لقاء الله تبارك وتعالى أموراً لا حصر لها . وكذلك في مقام التفريط إذا فرط الوالد في تربية أبنائه وتأديبهم فإنه يتعرض بذلك إلى عواقب وخيمة وآثار جسيمة في دنياه وأخراه . ألا فلنتق الله في أولادنا، ولنراقبه جل في علاه في أبنائنا، ولنلح عليه بالدعاء أن يصلحهم وأن يهديهم وأن يسددهم وأن يجنبهم مسالك الردى والفساد، ولنعنى بحسن تأديبهم وجميل توجيههم وحسن رعايتهم مستمدين في ذلك كله العون من الله وحده جل في علاه . اللهم انا نسألك يا ربنا بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا وبأنك أنت الله يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم يا رب العالمين أن تصلح لنا أولادنا أجمعين، اللهم من عليهم بالصلاح والهداية والاستقامة والسداد، وجنبهم يا ربنا الفساد والردى والهلاك، اللهم لا نرجو ذلك إلا منك، ولا نتوكل في ذلك وفي أي أمر من أمورنا إلا عليك؛ فأنت وحدك المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ونافع وصايا الآباء للأبناء تلك الوصايا العظيمة والمواعظ المسددة للقمان الحكيم وهو يعظ ابنه، وقد ذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم في سورة لقمان أنموذجاً ربيعاً ومثالاً علياً لوصية الأبناء وتربيتهم وتأديبهم بالأداب الفاضلة والأخلاق الكاملة . وإن من أعظم ما يكون في هذا المقام تربية الأبناء منذ أول النشأة وبداية الأمر على الاعتقاد الصحيح إيماناً بالله وبكل ما أمر عباده بالإيمان به وتوحيده جل في علاه وإخلاص الدين له، قال الله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَكُونُوا لِلدِّينِ قُلُوبًا مَشْفُوعِينَ لِكُلِّ فِرْعَوْنٍ كَمَا فَعَلَ فِرْعَوْنُ إِذْ جَاءَ بِآيَاتِنَا فَكَفَرَ بِهَا فَجَاءَهُ عَذَابُ يَوْمِ كَانَتْ آيَاتُهُ** ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وفي أوائل وصايا لقمان لابنه: ﴿ **يُنِيئُ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣]، ثم من بعد ذلك - من بعد الوصية بالتوحيد والإيمان - تأتي الوصية بفرائض الإسلام العظيمة وواجباته المتحتمة والنهي عن الحرام والتحذير من الآثام، ومن أعظم ما يكون في هذا الباب وصية الأبناء بالصلاة ﴿ **وَأْمُرْهُمْ بِالصَّلَاةِ وَأَصْلَحْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [طه: ١٣٢]، وفي «المسند» و«سنن أبي داود» عن النبي ﷺ أنه قال: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ**» وفي رواية «**مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسْبَعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ**»^(١١) .

*** وان من الركائز العظيمة في تاديب الأبناء وتربيتهم: تعاهدهم في باب المجلس والصاحب؛** فإن الصاحب صاحب ومؤثر في جليسه ولا يبد، ويبين لهم ذلك المثال الرفيع الذي ذكره النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في بيان تأثير الصاحب على صاحبه في الخير أو الشر، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمُسْكِ وَالنَّافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمُسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»^(١٢)، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»^(١٣) .

ثم يجب التنبيه أنه قد استجد في زماننا هذا نوع من الأصحاب والجلساء لم يكن له وجود في زمن سابق؛ ألا وهو مجالسة القنوات الفضائية ومواقع الأنترنت ونحو ذلك من خلال الوسائل الحديثة التي استجدت في بيوت الناس وفي أيديهم في زماننا هذا؛

(١١) أخرجه أحمد (٦٦٨٩)، وأبو داود (٤٤٥)، وقال عنه الألباني في «الشمع المستطاب»: هو حديث حسن أو صحيح بطريقه.

(١٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، عن أبي موسى.

(١٣) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) بلفظ: «**الرجل على...**» عن أبي هريرة، وأحمد

(٨٠٢٨) باللفظ المذكور أعلاه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٥٨).